

وعلى الرغم من أن الحرب التحريرية التي يخوضها الشعب الفلسطيني ضد الدولة الصهيونية العنصرية تندرج تحت نمط الثورة الوطنية الديمقراطية ، إلا أنها مع ذلك تتميز ببعض الخصائص النابعة من طبيعة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الذي تميز عن أشكال الاستعمار الأخرى بطرد السكان الأصليين واحلال المستوطنين مكانهم .

ان تفكيك الواقع الصهيوني القائم على أساس ان جماعة بشرية مشردة وجماعة أخرى مشردة ، جماعة مضطهدة وجماعة أخرى مضطهدة ، جماعة تتمتع بامتيازات متعددة وجماعة أخرى محرومة نسبيا من جميع الحقوق بما فيها حق العيش في أرض الوطن ، جماعة يرتبط نشاطها بمخططات الامبريالية العالمية وجماعة أخرى يرتبط نشاطها بحكم الضرورة مع حركة التحرر الوطني في المنطقة والعالم . نقول ان تفكيك هذا الواقع الاستعماري واستبداله بواقع جديد ديموقراطي تقدمي هو الهدف الأساسي لحركة التحرر الوطني الفلسطيني وهو يشكل المضمون الحقيقي لشعار الدولة الديموقراطية التقدمية في فلسطين .

ولا بد من الإشارة الى أن امتلاك الصهيونية لآلة حرب متطورة مدعومة من الامبريالية العالمية وانتصارها في ثلاث حروب عدوانية توسعية خلال ٢٥ عاما من وجودها لا يستطيع ان يكون سببا في عدم شن الكفاح المطلوب لتحطيم هذه الآلة . بل العكس هو الصحيح ، حيث يشكل سببا مباشرا وضرورة حتمية لخوض حرب ثورية طويلة الامد تحشد فيها الجماهير صاحبة المصلحة في التحرر من الصهيونية كل امكانياتها البشرية والمادية . ومن الخطأ الفادح الاعتقاد بأن مثل هذه الحرب التحريرية مستحيلة لاعتبارات آتية منها التضحيات المطلوب تقديمها لحرز النصر في هذه الحرب . وقد واجه لينين مثل هذه المواقف قبل أكثر من نصف قرن حيث كتب يقول : « وغالبا ما تستخدم عبارة « استحالة التحقيق » بمعان شتى وغير محددة بما فيها الكفاية . ولهذا طالبنا في أطروحتنا بما تفرضه كل مناقشة نظرية تفسير المعنى المقصود من « استحالة التحقيق » تلك ، ونحن لم نكتف بطرح السؤال ، بل شرعنا بالإجابة عليه . فاذا كان المقصود ان التحقيق سيثير مصاعب سياسية او انه لن يكون ممكنا بدون سلسلة من الثورات فان المطالب الديموقراطية كافة هي « غير قابلة للتحقيق في عصر الامبريالية » (٢٨) .

لقد عملت الحرب الصهيونية الامبريالية الثالثة عام ١٩٦٧ على تعرية الوجود الصهيوني في فلسطين وتبيان حقيقته كعدو ليس للشعب العربي الفلسطيني وحسب وبل لجمال حركة التحرر العربي والعالمي وأوضحت كذلك دور هذا الوجود في الدفاع عن المصالح الامبريالية العالمية وخاصة الأمريكية . وهذا برهان جديد على ان الغناء هذا الوجود ليس ممكنا وحسب بل هو ضرورة تاريخية تقتضيها مصلحة التقدم والتطور . وكما ان كل شيء في الواقع الاجتماعي هو فعل وعمل أي ممارسة ، فان الانتقال الى الضرورة التاريخية يفترض أيضا العمل والممارسة وان كان ذلك ضمن شروط معينة . وهكذا عندما يعترف التقدميون ان الكيان الصهيوني هو جزء من الامبريالية تكون في سياق نشاطها يصبحون عندئذ ملزمين بموقف محدد تجاه هذا الكيان .

وعندما تتشن حرب ثورية لانهاء هذا الكيان يصبح التقدميون ملزمين بموقف محدد لدعم هذه الحرب الثورية .

وعندما يعترف التقدميون (ماركس ولينين في طبيعتهم طبعاً) ان عزل اليهود ومنع اندماجهم هو السلاح الفعال الذي تفرض بواسطته الصهيونية سيطرتها على اليهود وتسخرهم لخدمتها ، يصبح التقدميون ملزمين بموقف حازم يهدف الى نزع هذا السلاح من يد الصهيونية وذلك بتحطيم العزلة وتحقيق الاندماج .